

2016

## الأمير عثمان بن عبد المؤمن (حاكم غرناطة) دراسة في سيرته الذاتية وأثره العسكري والإداري في بلاد المغرب والأندلس

أ.م.د. علي عطية شرقي  
(جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد))

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>

 Part of the [Arts and Humanities Commons](#), and the [Law Commons](#)

### Recommended Citation

شرقي, أ.م.د. علي عطية (2016) "الأمير عثمان بن عبد المؤمن (حاكم غرناطة) دراسة في سيرته الذاتية وأثره العسكري والإداري في بلاد المغرب والأندلس," *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 12: Iss. 1, Article 18.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol12/iss1/18>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact [rakan@aarj.edu.jo](mailto:rakan@aarj.edu.jo), [marah@aarj.edu.jo](mailto:marah@aarj.edu.jo), [u.murad@aarj.edu.jo](mailto:u.murad@aarj.edu.jo).

الأمير عثمان بن عبد المؤمن (حاكم غرناطة) دراسة في  
سيرته الذاتية وأثره العسكري والإداري في بلاد المغرب  
والأندلس

أ.م.د. علي عطية شرقي  
جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد)

## الملخص

يعد الأمير عثمان بن عبد المؤمن (533-571/1138-1175) من الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تثبيت الدولة الموحدية في بلاد المغرب والأندلس، فهو يأتي في المرتبة الثالثة بعد أخويه أبو يعقوب الخليفة وأبو حفص الوزير. وقد بحثت الدراسات كثيراً في مسألة نشوء وتأسيس الدولة الموحدية ودور عبد المؤمن وبنيه، إلا أنها ركزت على الأخوين أبو يعقوب باعتباره الخليفة وأبو حفص الوزير، إما صاحبنا عثمان ابن عبد المؤمن الأخ الثالث لهم، فلم تسلط الضوء عليه كثيراً، ويمكن القول أنها قد تجاوزته، لهذا جاء بحثنا ليسلط الدراسة على جوانب مهمة من شخصية وأثره السياسي والإداري في مختلف الأدوار التي مرت بها الدولة الموحدية. وفضلاً عن كونه قائداً عسكرياً وإدارياً ناجحاً، كان محباً للعلم والمعرفة، حيث قرب إليه خيرت علماء المغرب والأندلس، وسخر كل إمكانياتهم في خدمة الدولة والأمير. وتعد مدة ولاية الأمير أبو سعيد لبلاد المغرب والأندلس من العهود الحافلة بالإنجازات السياسية والحضارية والاقتصادية والعلمية، وهي امتداد طبيعي لتلك النهضة التي شهدتها عهد أبيه عبد المؤمن بن علي وأولاده بعد ذلك.

## Abstract

As a matter of fact, the Prince Othman bin Abdul-Mamin is considered as one of the characters that have played an important role in stabilizing Al-Mohadia State in Morocco and Andalusia. He actually, comes in third place after his brothers Caliph Abu Jacob and Abu Hafs, the Minister.

Many studies have looked at the issue of the emergence and establishment of Al-Mohadia State and the role of Abdul-Mamin and his sons. However, it focused on the two brothers Abu Jacob as the Caliph and Abu Hafs who is the second man. Concerning, Osman Ibn Abdul-Mamin did not be highlighted too much. Because this the aim of our search is to highlight on the important aspects of the political personality and his political influence and administration of the state. In addition, of being a military commander and successful administrative, he was a knowledge-loving, where made his favorite scientists closer to get benefits in the service of the state.

It is important to mention that the reign of Amir Abu Said is one of the most important achievements in the political, cultural, economic and scientific aspects, which are a natural extension of that renaissance that witnessed by the reign of his father, Abd Al-Momin and his sons



## المبحث الأول

### السيرة الذاتية للأمير عثمان بن عبد المؤمن

#### أولاً: اسمه وألقابه وكناه

هو عثمان بن عبد المؤمن وكنيته أبو سعيد ويلقب بالسيد، وهذا اللقب يطلق على بني عبد المؤمن دون سواهم، كم يذكر ابن الخطيب<sup>(1)</sup> قائلاً ((أما الأمير أبو محمد بن علي وأبناؤه كالسيد أبي سعيد عثمان بن الخليفة والسيد إسحاق بن الخليفة والسيد أبي إبراهيم والسيد أبي عبد الله ، الى ان انقرض أمرهم)).

ولعل لقب (السيد) كان قد عرف تاريخياً بالعوائل التي ترتبط بنسب الرسول الكريم (ﷺ) ولا نستطيع ان نجزم في الأسباب التي جعلت بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة<sup>(2)</sup>.

ويبدو ان هذا اللقب أطلق على جميع الأمراء الموحدين، إذ كانوا ينعتون أنفسهم بلقب السيادة، فيتقدم اسمهم دائماً لقب (السيد)<sup>(3)</sup>.

ومن ألقابه التي أطلقت عليه (حاكم غرناطة) أو(ملك غرناطة)<sup>(4)</sup>.

#### ثانياً: ولادته.

لقد أغفلت المصادر التاريخية المتوفرة حالياً تحديد تاريخ ولادة الأمير أبو سعيد عثمان، ألا ان ابن عذاري<sup>(5)</sup> يذكر بان ابا سعيد كان عمره ست وثلاثون عاماً في عام (569هـ -1173م) وبذلك يمكننا ان نفترض ان الأمير عثمان بن عبد المؤمن ولد بحدود سنة(533هـ -1138م) بالاعتماد على هذه الرواية، وهي الاقرب للتواريخ التي ذكرت سابقاً، ومثلما أغفلت المصادر تاريخ ولادته، لم تذكر لنا هذه المصادر معلومات عن مكان أو محل ولادته .

#### ثالثاً: نسبه.

اختلفت الروايات التاريخية في تحديد نسبه ، منها من ذهب الى القول انه عربي من بني قيس، ومنها من يقول: ان نسبه يرجع من قبيلة كومية<sup>(6)</sup> الغربية ، وهذا الاختلاف في حقيقة الأمر يضع الباحث في حيرة من أمره اتجاه تحديد نسب عبد المؤمن بن علي والد الأمير عثمان، فالبيذق<sup>(7)</sup> ينقل لنا وهو رفيق عبد المؤمن يذكر روايته الأولى ينسبه الى آل بيت رسول الله (( فهو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلا بن الحسن بن كونه بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن طريق الادارسة، والرواية الثانية أرجعت نسبه الى قيس بن عيلان)).

اما والدة عبد المؤمن فهي كما يشير البيذق<sup>(8)</sup> وأسمها ((تعلو بنت عطية بن الخير ابن خليفة بن موسى بن علي بن حسن بن كونه بنت إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام...)).

وبذلك يكون عبد المؤمن حسب ما سجله البيذق، عربياً مضريراً عدنانياً الأب والأم.

وهذا ما ذهب إليه أيضاً المراكشي<sup>(9)</sup> أيضاً، حيث أكد النسب العربي القيسي المضري لعبد

المؤمن بن علي.

ونستطيع ان نقول ان نسب عبد المؤمن عربي، اما الروايات التاريخية التي تنفي نسبه العربي ، فنرى أنها روايات ضعيفة مرتبكة، فمرة تذهب الى ان نسبه عربي، وأخرى تنفي ذلك وهذا يدل على عدم الدقة والارتباك، ومن هذه الروايات، ما ذكره ابن أبي زرع التي ذكر بان عبد المؤمن بن علي عربي الأصل، ثم رجع وقال هو زناتي الأصل والله اعلم<sup>(10)</sup>.

#### رابعاً: نشأته وملامح شخصيته.

نشأ أبو سعيد بن عبد المؤمن في بيئة علمية فهو كما عرفناه ابن عائلة معروفة بالرياسة والعلم، فقد أخذ علمه من تلك المدرسة التي بناها والده في مراكش<sup>(11)</sup>، إذ انشأ عبد المؤمن مدرسة لتخريج رجال سياسية ومعرفة حقيقية تقود تلك الدولة، وقد ضمت هذه المدرسة زهاء ثلاث الآلف طالب من

أبناء الأكابر، فكانوا يدرسون منهاجاً في إدارة الولايات ومزاولة شؤون الدولة ، فضلاً عن مناهج العلم الأخرى، كحفظ القرآن الكريم وتفسيره، وكان عبد المؤمن يشرف عليهم بنفسه ، حتى يجمعهم يوم الجمعة بعد الصلاة في قصره، ويمتحنهم فيما درسوا، ويوجه اليهم الأسئلة بنفسه، تشجيعاً منه على الاجتهاد والمثابرة، كي يجعل منهم رجالاً أكفاء قادرين على تحمل المسؤولية، وكان على رأس طلبة هذه المدرسة ثلاثة عشر من أبناء الخليفة نفسه<sup>(12)</sup>.

وكان من الذين برعوا في الدرس أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن بشكل ملفت ورائع، يقول ابن خلكان<sup>(13)</sup> (( كان حافظاً متقفاً... قرن به وبإخوته أكمل رجال الحرب والمعارف، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء)).

ومن ناحية أخرى يكشف لنا المراكشي<sup>(14)</sup> جانباً مهماً في شخصية ابو سعيد عثمان وبين مقدار ثقافته وحبّه للأدب والشعر، وبراعته في قيادة الجيش فيقول: ((وكان من نبهاء أولاده(عبد المؤمن) ونجبائهم، وذوي الصرامة منهم، وكان محباً في الأدب، مؤثراً لأهلها، يهتز للشعر ويثبت عليه، أجمع له وجوه الشعراء واعيان علمتها...))، وان كانت هذه الرواية تتحدث عن أبي سعيد أثناء ولايته على سبته<sup>(15)</sup> ووطنجة<sup>(16)</sup>. لكن بكل تأكيد تعطينا تصوراً واضحاً عن ما تميز به هذا الأمير وتكشف مقدار حبه للأدب والمعرفة.

ومما ساعده في هذا المجال، إحاطته ببعض الكتاب المشهورين بالأدب والعلم أمثال احمد بن عبد الملك<sup>(17)</sup>، واحمد بن الحسن القضاعي<sup>(18)</sup>، ومحمد بن مسعدة<sup>(19)</sup>، وابن طفيل<sup>(20)</sup>، وأبو بكر بن حبيب الباجي<sup>(21)</sup>، وعثمان بن ميمون الصنهاجي<sup>(22)</sup>، فكل واحد من هؤلاء قد برع في جانب مهم من جوانب العلم التي تزود منها الأمير ابو سعيد خلال توليه إدارة الولايات في بلاد المغرب والأندلس، وبالتالي فإن لهؤلاء اثر هام في حياة السيد ابو سعيد، لاسيما في فترة توليه الولايات في المغرب والأندلس، فنجد مثلاً ان ابن طفيل ذلك الرجل الموسوعي، كان مستشاراً للسيد أبي سعيد وكاتماً لأسراره<sup>(23)</sup>، كذلك فعل احمد بن عبد الملك سليل أسرة بني سعيد المشهورة من حيث الدعم والمشورة<sup>(24)</sup>، وكذلك فعل الآخرون لأنهم وجدوا رعاية ودعم من قبل الأمير ابو سعيد، ولم تقتصر رعايته على الشعراء الذكور بل كان راعياً للشاعرات ايضاً فهذه حفصة الركونية<sup>(25)</sup>، من أشهر شاعرات الأندلس في العصر الموحي تمدح وتهني السيد ابا سعيد بيوم العيد قائلة:

يا ذا العلا وابن خليفة	والإمام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى	منه بما تهوى القضا
وفاك من تهواه في	طوع الإجابة والرضا
ليعيد من لذاته	ما قد تصرم وانقضى <sup>(26)</sup>

وقد شغف بحبها، وولع بها حتى وصل به الأمر ان قتل كاتبة الشاعر أبي جعفر بن سعيد بن عبد الملك، لمشاركته في حب الشاعرة الركونية<sup>(27)</sup>، وهذا الفعل يوضح جانباً سلبياً مظلماً من شخصية الأمير ابو سعيد، إذ يسعى للوصول لما يريد بكل الوسائل وان كانت الوسيلة هي القتل وهذه الرواية دليل على ذلك.

لكن هذا الامر لا يمنعنا من القول من ان الأمير ابو سعيد عرف عنه انه كان قائداً وادارياً تسلم الأمور في ولايات كثيرة من بلاد الأندلس، حتى قضى عمره في خدمة الدولة الموحدية في عهد أبيه عبد المؤمن وأخيه ابو يعقوب دون ملل أو ضجر، ويحكى ان نصف شخصيته بأنها شبيهة بشخصية والده عبد المؤمن بن علي التي جمعت ما بين البساطة في المعاملة والحزم والجد في إدارة البلاد، مع رغبة حقيقة بتطبيق العدالة والسعي لتوسيع دولته وتثبيت أركانها.

خامساً: وفاته.

توفي ابو سعيد عثمان عن عمر ناهز الثمان والثلاثون وهو في ريعان شبابه بعد ان أصابه مرض الطاعون الذي اجتاح البلاد سنة(571هـ -1175م).

وتشير الروايات بان عدد الأموات الذين كانوا يموتون جراء مرض الطاعون في كل يوم مابين  
المائة الى المائة وتسعون شخصاً، حتى ان الناس لم يستطيعوا حمل الموتى الى الجامع للصلاة عليهم  
فأمر الخليفة ان يصلّى عليهم في سائر المساجد رفقاً بالموتى(28).

## المبحث الثاني

**النشاط العسكري للأمير أبي سعيد وأثره السياسي في بلاد المغرب والأندلس**  
 ترأس الأمير أبو سعيد قيادة الحملات العسكرية لضم الأندلس إلى دولة الموحدين لاسيما بعد نجاحه في اجتياز الاختبارات التي أجريت له في مدرسة أبيه عبد المؤمن الحربية والدينية والتي تحدثنا عنها سلفاً.

فبعد أن قام الموحدون بفتح اشبيلية وقرطبة، وصل خبر هذه الفتوح إلى ميمون بن بدر المتونني<sup>(29)</sup> الوالي على غرناطة، فخاطب الناس في الصلح وأن يعفى عنهم، فقتل ميمون وإخوته الأمير بحضارة واهتمام، وقال: ادخلوها بتحية وسلام، مقابل ذلك وعد الأمير الناس بالخير والاستقرار<sup>(30)</sup>، ثم كتب الخليفة إلى ابنه أبي سعيد بالإجازة إلى الأندلس، وبإضافة ولاية غرناطة إلى ما بيده من أعمال سبته، فأجاز البحر بجمع من الموحدين والجند المسترزقين، فوصل إليها، وسلكتها وبادر إليه من الثوار المجاورين لها كآبي مروان بن سعيد وبنيه، وأبي جعفر بن ملحان وغيرهم، ولما استقر الأمين بغرناطة بعث بعسكره إلى مدينة المرية ليتطلع أحوال النصارى، فنهض العسكر وأغاروا على باب المرية ونازلها<sup>(31)</sup>.

وكانت مدينة المرية<sup>(32)</sup> من أوائل المدن الأندلسية التي فتحها الأمير أبو سعيد سنة 546هـ (1151م) بصحبة الشيخ أبو حفص الهنتاني<sup>(33)</sup>، وكانت مدينة المرية هذه قد استولى عليها الإفرنج أيام الموحدين والمرابطين، لذلك قام الأمير أبو سعيد وعلى الغور بحصارها بشكل محكم<sup>(34)</sup>، واتجه إلى إقامة معسكر متكامل محاط بالأسوار لحماية الجند من أي هجمات مفاجئة<sup>(35)</sup>.

إن بناء المعسكر يعني التواجد الدائم لقوات أبي سعيد في المنطقة ورغبة منه بفتح المرية، مما دفع الأسبان المحاصرين إلى الاستنجاد بالفونسو السابع والملقب (المحارب)<sup>(36)</sup> وحليفه ابن مردنيش<sup>(37)</sup>، الذي تولى قيادة مشتركة من أتباعه والأسبان والتي قدرت بحوالي ثمان عشر ألف مقاتل<sup>(38)</sup>، فهاجمت هذه القوات معسكر السيد أبي سعيد إلا أنها فشلت في تحقيق هدفها، بسبب مناعة الحصون المحيطة بالمعسكر<sup>(39)</sup>، وبعد محاولات فاشلة في اختراق صفوف الموحدين، اضطر ابن مردنيش إلى الانسحاب، تاركاً القوات الأسبانية في المرية لمصيرهم المحتوم في مواجهة قوات أبو سعيد، الذي قرر متابعة حصار مدينة المرية لأهميتها الإستراتيجية والعسكرية لمدة زادت على سبعة شهور مما اضطر سكانها إلى تسليم المدينة سنة 552هـ (1157م) مقابل الأمان فدخلها أبو سعيد صلحاً<sup>(40)</sup>.

ويبدو أن فكرة بناء معسكر حصين لحماية الجيش الموحد المحاصر لمدينة المرية تدل على قدرة عسكرية كبيرة للسيد أبي سعيد وإمكاناته الحربية ودهائه العسكري والتي مكنته من الانتصار على الأسبان وحلفائهم فضلاً عن إمكاناته لقراءة الواقع الميداني في المنطقة مما ساهم في تعزيز الموقف لصالح الموحدين في الأندلس الذي كاد أن يصاب بالانهيار لو تمت هزيمة الجيش الموحد في هذه الواقعة.

وفي سنة 556هـ (1160م) عمل أبو سعيد إلى العبور للمغرب لمقابلة والده، فاستغل ابن هشك<sup>(41)</sup> الفرصة وهاجم غرناطة وتمكن من دخول المدينة وكان ذلك بمساعدة بعض اليهود إذ قاموا بمحاصرة الحامية والعسكر الموحد في القسبة الرئيسية فحدثت المعركة وراح ضحيتها الكثير من الموحدين والأندلسيين.

وما أن وصلت أخبار غرناطة ودخول ابن هشك لها للسيد أبو سعيد، حتى ساءه ذلك، وتأثر جداً، فلما وصل أبو سعيد مدينة مالقة استدعى الوالي أبا محمد عبد الله بن أبي حفص<sup>(42)</sup>، والي اشبيلية أن يصله بعسكرها، فتم له ما أراد فجمعوا، ونزلوا فحص غرناطة حيث السواقي الجارية، فخرج إليهم ابن هشك بعسكره، ودارت الحرب رجالها فانهزم جموع الموحدين، وفروا فقطعت بهم تلك السواقي عن فرارهم فسقطوا فيها بخيلهم، وقد قتل في تلك المعركة أبو محمد بن أبي حفص، أما السيد

أبو سعيد فقد رجع إلى مدينة مالقة منتظراً قدوم الإمدادات العسكرية من المغرب وفعلاً أتت بقيادة السيد أبي يعقوب من أجل التصدي لابن مردنيش<sup>(43)</sup>.

وما إن تم اللقاء بين الأخوين، حتى سار الجميع بحذر وبقطة، فتولى أبو سعيد قيادة فرقة من الجيش الموحي الذي وصل إلى مكان يعرف ب(وادي حدارة) حيث كان يعسكر ابن مردنيش في الجهة المقابلة للوادي<sup>(44)</sup>.

تحرك السيدان أبو يعقوب وأبو سعيد متجهين إلى غرناطة، حيث ركب جميع العساكر خيولهم بعد صلاة العصر من يوم الخميس الخامس والعشرين من رجب سنة (557هـ - 1161م) وعزموا أن يسيروا ليلهم وقدموا الإمداء أمامهم، وكانت ليلة مقمرة فلما برق ضوء الفجر قام أبو سعيد بمباغطة قوات ابن مردنيش مستخدماً أسلوب الهجوم المفاجئ المعتمد على عنصر السرعة مما سبب إرباكاً واضحاً لقوات ابن مردنيش التي هربت دون وعي<sup>(45)</sup>، وقد أبدى أبو سعيد كفاءة قتالية عالية في فنون القتال<sup>(46)</sup>. وهذا الأسلوب في القتال قد أربك الخصم وساهم في حسم نتيجة المعركة.

بعد ذلك تحرك العسكر لحصار ابن همشك بمدينة جيان<sup>(47)</sup>، ففتح المدينة واستأصل معظم من فيها من عسكر ابن همشك ولاذ البقية منهم بالفرار<sup>(48)</sup>، وبذلك تمكن أبا سعيد من تعويض هزيمته السابقة أمام ابن مردنيش في مرج الرقاد، واستطاع تجاوز أخطائه التي سببت تلك الهزيمة، وهذا الأمر عزز مكانته عند والده عبد المؤمن من جديد، كما أنها ساهمت في صقل موهبته الحربية وكفاءته العسكرية في الأندلس.

أن نجاح أبي سعيد في هذه المعركة كان قد دفع أخيه الخليفة أبي يعقوب إلى استدعائه فيما بعد إلى المغرب للمساهمة إلى جانبه في التصدي لثورة (سبع بن منعقد) الثائر في جبال غماره، وفعلاً أسرع في العبور واشترك في إخماد الثورة في الجبال وإحلال السلام والأمن فيها<sup>(49)</sup>.

ويبدو أن مشاركة السيد أبا سعيد في قيادة الجيش الموحي في بلاد المغرب والأندلس كانت مبنية على ثقة أخيه الخليفة أبي يعقوب حيث كان يستدعيه من جبهة الأندلس رغم أهميتها لمواجهة تمرد قد شكل خطراً على الحكم الموحي في المغرب.

وكانت معركة غماره آخر معركة اشترك بها أبو سعيد حتى وافاه الأجل بعد أن أصيب بمرض الطاعون في مراكش وتوفي على أثرها سنة (571هـ - 1175م).

### المبحث الثالث

#### أثر السيد أبي سعيد الإداري في بلاد الغرب والأندلس

أشتهر أبو سعيد بكونه إدارياً ناجحاً، إذ قضى معظم حياته يتولى إدارة الولايات في بلاد المغرب والأندلس، فقد تولى إدارة مدن سبته وطنجة سنة (547هـ - 1152م) بمساعدة عبد الله بن سليمان وأبو سعيد بن ميمون الصنهاجي<sup>(50)</sup>، وبمهارته كبار الكتاب أمثال ابن طفيل وأبو بكر الباجي<sup>(51)</sup>، وأبو الحكم بن هردوس<sup>(52)</sup>، وفي سنة (552هـ - 1157م) أضيفت مدينة غرناطة إلى سلطته، وهذه المدن الثلاثة من أهم المدن من الناحية الجغرافية والإستراتيجية التي تربط شمال المغرب وجنوب الأندلس فضلاً عن ذلك فإنها تشكل الممر الرئيسي لعبور الإمدادات العسكرية الموحدية إلى هذه البلاد، وإدراكاً من الخليفة عبد المؤمن بن علي بقدرات ولده أبو سعيد لما يتمتع به من كفاءة إدارية عالية، هو الذي جعله يضع هذه المدن المهمة تحت إدارته.

وعلى الرغم من المساحة الشاسعة لهذه المناطق إلا أن الأمين أبو سعيد تمكن من إدارتها بشكل رائع بدليل بقائه في منصبه لفترات طويلة.

وقد عرف عن السيد أبو سعيد أنه كان دائم السفر إلى المغرب للقاء والده عبد المؤمن وأخيه أبو يعقوب لمشاورتهم بأمور البلاد، وربما السبب المهم لهذه الزيارات المتكررة لا سيما في عهد أخيه عندما كان خليفة للاستئناس برأي أبي سعيد باعتباره خبيراً عسكرياً وإدارياً بشؤون المنطقة أو لتكليفه في بعض الأحيان بقيادة الجيش وأن يؤدي مهمة سياسية أو إدارية نيابة عن الخليفة<sup>(53)</sup>.



وتشير المصادر التاريخية بان أبي سعيد كان ملتزماً بكل التعليمات الصادرة من خلافة الحكم، وكان أميناً عليها ومطيعاً للأوامر دون تردد، فضلاً عن احترامه الشديد لأخوته (أبو يعقوب) الخليفة و(أبي حفص) الوزير الأول في الدولة الموحدية فلم يطلب الأمر لنفسه<sup>(54)</sup>، فنجده مسرعاً لإعلان البيعة لأخيه أبي يعقوب سنة(558هـ-1162م) بعد وفاة والده عبد المؤمن، ولم يتردد أو يتأخر كما فعل بعض أخوته الآخرين.

وهذه الرواية تقطع الطريق عن كثير من الروايات التي تشير أو تغمز أو تشكك في امتناع أبا سعيد عن بيعة أبي يعقوب<sup>(55)</sup> بالخلافة حتى سنة (558هـ-1164م) لأنه قول لا تعضده الروايات التي تؤكد أن أبو سعيد قد ساهم وشارك مع الخليفة أبي يعقوب في قمع ثورة غماره سنة(558هـ-1162م) فكيف يمتنع عن بيعة الخليفة وفي نفس الوقت يكون مشاركاً في قيادة جيشه.

وكان الأثر الإداري والسياسي للأمير أبو سعيد حاضراً، إذ أمر ببناء مدينة بحرية في سفح جبل طارق<sup>(56)</sup>، وبنى فيها القصور والمنازل فضلاً عن الجوامع لإقامة الصلاة، وتعد هذه المدينة من المدن الحصينة والمنيعّة والفريدة من نوعها التي أقامها الموحدين في بلاد الأندلس<sup>(57)</sup>، كذلك فقد شرع في إنشاء قصر لوالده، وإحاطة بقصور<sup>(58)</sup> لأخوته والحق بها دياراً أقطعها إلى أعيان الموحدين ووجها إلى البلاد.

وقد أحاط جميع هذه المباني بسور يدخل إليها من باب واحد وهو باب الفتح<sup>(59)</sup>، وقد استعان أبو سعيد بأمهر وأشهر المهندسين والبنائين، وتعد الرحي التي بناها من أقدم الرحي في التاريخ التي تعمل بواسطة الرياح<sup>(60)</sup>.

ويذكر ابن صاحب الصلاة<sup>(61)</sup> بان السيد أبا سعيد قام بحملة أعمار واسعة في مدينة قرطبة سنة(557هـ-1162م) أثناء ولايته عليها إذ يقول: (( وأقام السيد أبو سعيد بقرطبة على الحالة المأمور بها، فزادها تمصيراً ومهداً تمهيداً وتبشيراً...)).

وتذكر الروايات أيضاً أنه وفي سنة(561هـ-1165م) قام أبو سعيد بتوسيع العلامة الموحدية( الحمد لله وحده) وعممها في المكنات الرسمية للدولة في الأندلس<sup>(62)</sup>.

وهذه الاعمال الإدارية والسياسية وحتى العسكرية تعطينا تصوراً واضحاً عن مدى الثقة التي يحظى بها السيد أبو سعيد في البلاط الموحي، بحيث يكلف بأداء هذه المهمة المتعلقة بضبط المكاتبات الرسمية في بلاد الأندلس.

اما عن الدور السياسي للسيد أبو سعيد في بلاد الأندلس، فقد اقتصر كما تشير الروايات على عقد معاهدات الصلح مع الممالك الاسبانية، كما في المعاهدة التي صدرت سنة(563هـ-1167م) مع ابن الرنك<sup>(63)</sup> (الفونسو انريكيثز) (Alfonse enriquez) ويبدو هذا من ضمن الصلاحيات التي منحها الخليفة أبو يعقوب لأخيه أبو سعيد.

## الخلاصة :

مما تقدم يمكننا القول:

أن الأمير السيد عثمان بن عبد المؤمن (حاكم غرناطة) كان شخصية إدارية وعسكرية مهمة، وقد نجح في إدارة أهم مدن الأندلس ونقصد غرناطة، فنجح نجاحاً باهراً، فأظهرت هذه الإدارة حكمة وشجاعة الأمير في ترسيخ سياسة ناجحة أشاد بها معظم المؤرخين، وكان من عوامل ونجاح إدارته إنما يكمن في حرصه على اختيار الإداريين الأكفاء من ذوي الخبرة والمهارة سواء كانوا وزراء أو ولاية أو قضاة .

اهتم أبو سعيد بالشؤون الإدارية وحرص على اختيار الإداريين الأكفاء من ذوي الخبرة سواء كانوا وزراء أو كتاب أو ولاية أو قضاة.

ولأنه تربى في بيئة علمية مميزة، فقد قرب أهم علماء عصره، فضلاً عن اهتمامه الكبير بالشعراء والأدباء، وشهد عصره حرية تامة في تنقل العلماء والأدباء بين حوافر المغرب العربي والأندلس من جهة، والمشرق الإسلامي من جهة أخرى، دون أي عائق متجاوزين السياسية الخلافات القائمة.

وقد أمتاز الأمير أبو سعيد كونه قائداً عسكرياً، والدليل على هذه الميزة والدراية والحكمة نجاح الأمير في الكثير من المعارك سواء في الأندلس محل إقامته أو في بلاد المغرب عندما يطلب منه ذلك من مقر الخلافة، وفعلاً قام بتحرير مدن أندلسية كثيرة منها المرية وغرناطة وبطليوس وغيرها. أما الجانب السياسي للأمير عثمان فهناك شحة واضحة في المعلومات التاريخية، ولانعرف سبب عزوف كثير من المؤرخين في التفصيل بهذا الجانب، وهذا لا يمنعنا من التأكيد في إنجازات الدولة الموحدية في عهد الأمير أبو سعيد وأخويه أبو يعقوب وأبو حفص حيث بلغت أوج عظمتها في الجانب السياسي، فأخذت الدولة تمارس دوراً إقليمياً كبيراً، وأخذ بعض حكام الدولة النصرانية شمال الأندلس والدول الأوربية يتقاطرون على حاضرت الدولة الموحدية مراکش يلتهمون ود الموحدين .

## الهوامش:

- (1) لسان الدين، محمد بن عبد الله (ت766هـ) اللوحة البدرية في تاريخ الدولة النصرانية، المطبعة السلفية (القاهرة 1928 ) ، ص12.
- (2) السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري ( ت1897م )، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تعليق جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب ( الدار البيضاء )، 1954م ، 109/2.
- (3) أشباح، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عدنان ، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة 1996) ، ص241.
- (4) ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك ( ت628هـ )، نظم العيان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب / جامعة محمد الخامس (الرباط د.ت) ص206.
- (5) أبو العباس ، احمد بن محمد المراكشي (ت712هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد إبراهيم كتاني وآخرون، ط1، (الدار البيضاء 1985) ، ص94.
- (6) من قبائل البثر المغربية، كان موطنها الأصلي في المغرب الأوسط ، ثم هاجرت إلى المغرب الأقصى، بعد نجاح عبد المؤمن بن علي في تأسيسه الدولة الموحدية، وكانت هجرتها ذات أحداث سياسية وعسكرية، بنظر: ابن خلدون، العبر 155/6، منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ص309.
- (7) أبو بكر الصنهاجي، (ت في القرن السادس الهجري)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، (الرباط ، 1971م) ، ص13.
- (8) المقتبس، ص17.
- (9) محي الدين عبد الواحد (ت647هـ) المعجب في تلخيص أخبار الغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي، ط ، مطبعة الاستقامة (القاهرة 1963) ص197.
- (10) أبو الحسن علي بن عبد الله القاسي ( ت726هـ) الأنيس المطرب بروض القرطاسي، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق، كارل يوحنا ، دار المنصور (الرباط 1972) ص183.
- (11) عاصمة الدولتين المرابطية والموحدية، بناها الأمير يوسف بن تاشفين سنة 458هـ -1065م ، وأصبحت عاصمة للموحدين طيلة عهدهم، وتعد مراكش واحدة من أهم المدن الإسلامية في بلاد المغرب العربي، دار الشؤون الثقافية ( بغداد 1986 ) ، ص208.
- (12) اشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، 51/2.
- (13) أبو العباس ، شمس الدين (ت681هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (بيروت د.ت)، 130/7.
- (14) المعجب، ص293.
- (15) سبته مدينة مغربية قديمة تقع على البحر المتوسط، مقابل الساحل الإسباني من الضفة الأخرى من البحر، ينظر ابن خرداذبة(820هـ)، المسالك والممالك تحقيق جمال طلبه، ط1، دار الكتب العلمية ( بيروت 203) ، 285/2.
- (16) طنجة من مدن بلاد الغرب، تقع على ساحل البحر المتوسط وتقابل الجزيرة الخضراء في الطرف الآخر، تبعد عن سبته مسافة يوم واحد، ينظر: الحموي ، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق محمد المرعشي، دار أحياء التراث (بيروت د.ت)، 43 /4.
- (17) احمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر، ولد سنة(520هـ -1126م)، شاعراً وأديباً، ينتمي إلى أسرة بني سعيد المعروفة بالعلم والأدب والنفوذ في بلاد الأندلس، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى

- المغرب، تحقيق شوقي ضيق، ط4، دار المعارف، القاهرة، 2009، 136/2، الطريفي، يوسف عطا، شعراء المغرب والأندلس، الألفية للطباعة والتوزيع، عمان 2007، ص247.
- (18) احمد بن حسن بن احمد القضاعي، من مشاهير الكتاب في بلاد الأندلس، كان جده لأمه القاضي عبد الحمد بن عطية، ينظر: المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر (بيروت 1968)، 13/3.
- (19) محمد بن مسعدة، أبو يحيى محمد بن علي العامري، شقيق الكاتب أبو بكر بن مسعدة، من الكتاب البارعين والمعروفين في بلاد الأندلس، ابن سعيد، المغرب، 90/2.
- (20) ابن طفيل، أبو بكر محمد بن عبد الملك القييسي، ولد سنة (500هـ - 1106م)، كان عالما وطيبا وأديبا وشاعرا، ينظر ابن الأبار، محمد بن عبد الله، ابن أبي بكر القضاعي (ت658هـ - 1259م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني (القاهرة 1956)، ص825، الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص61.
- (21) أبو بكر بن حبيش الباجي، كاتب أندلسي، باجي المولد، وأقامه في مدينة مرتلة، التقى بعبد المؤمن في مدينة تلمسان، وانضم إلى الموحدين بعد ذلك، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ - 1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، ط3، بيروت، 1968، 212/6.
- (22) عثمان بن ميمون الصنهاجي، رافت عبد المؤمن في فتوحاته لبلاد أفريقيا، كما رافق السيد أبي يعقوب في حملته على الأندلس، ويعد من الكتاب المعروفين في جمال العلم والأدب، ينظر: السلاوي، الاستقصا، 132/1.
- (23) الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص161.
- (24) الطريفي، شعراء المغرب والأندلس، ص162.
- (25) حفصة بنت الحاج الركونية، ولدت سنة (530هـ - 1135م)، من أسرة ذات جاه ومال، تفوقت على نظيراتها بالأدب والشعر، مدحت عبد المؤمن ابن علي، فأعطاهما قرية الركونية قرب غرناطة، ينظر: ابن سعيد المغرب، 138/2، المقري، نفح الطيب، 171/4.
- (26) ابن سعيد، المغرب، 139/2، المقري، نفح الطيب، 177/4.
- (27) ابن سعيد، المغرب، 138/2، المقري، نفح الطيب، 173/4.
- (28) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ص136، ابن خلدون، العبر، 284/6، السلاوي، الاستقصا، 280/1.
- (29) هو ميمون بن بدر بن ياسين، الصنهاجي اللمتوني، سكن مدينة المرية، أصله من صحراء المغرب، يكنى أبا عمر، عني بالرواية وسماع العلم، ينظر: السلاوي، عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بمراكش واغامت من الإعلام، المطبعة الملكية، الرباط 1993، 308/7.
- (30) ابن عذاري، البيان المغرب، ص55.
- (31) Rachid Bourouiba، Abdel mumenk، Flambeau des Almohades، Suez. Alger. 1974. p.42.
- (32) المرية، من مدن إقليم البيرة في الأندلس، فيها مرفأ للسفن والمراكب، وكانت قاعدة للأسطول الأندلسي، وكان الناس ينتهجونها ويرابطون فيها، ينظر: الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت727هـ - 1397م)، صفة جزيرة الأندلس، تحقيق: ليفي بروفنال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1937م)، ص183.
- (33) أبو حفص عمر بن يحيى، من ابرز خاصة المهدي بن تومرت، وله الفضل في تثبيت أركان الدولة الموحدية، وتمتع بمكانة خاصة لدى خلفاء وأمرأ هذه الدولة، ينظر: الزركشي، ابو عبد الله حمد بن إبراهيم (894هـ - 1488م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد بن ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص22.

- (34) السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، الموصل، 1986، ص266.
- (35) ابن أبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ - 1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاسي في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، تحقيق: كارل يوحنا، الرباط 1972، ص136.
- (36) ملك قشتالة الأسباني، قاد حروب لا هواده فيها ضد المسلمين، ص10، سمي بالمحارب، ينظر: اشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، 160/1.
- (37) ابن مردنيش، محمد بن سعد، من أشهر ثوار الأندلس ضد الحكم الموحي، استمر في ثورته لأكثر من خمس وعشرون عاماً، واستعان بالأسبان ضد المسلمين، وبعد وفاته اضطر أبنائه إلى الاعتراف بالوجود الموحي، ينظر: ابن الخطيب، محمد بن عبد الله التلمساني، أعمال الإعلام في من يولع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط1، دار المكشوف، (بيروت 1956، ص259).
- (38) ابن الأثير، الكامل، 123/9، سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ص705.
- (39) ابن الأثير، الكامل، 172/9.
- (40) السلاوي، الاستقصا، 109/2.
- (41) إبراهيم بن محمد بن مفرج، نصراني الأصل، أسلم على يد بني هوود ملوك سرقسطة، قاد الحروب ضد الموحدين في الأندلس إلى جانب ابن مردنيش، وكان متسلطاً، قوياً، انضم إلى الموحدين في أواخر أيامه بعد الخلاف مع ابن مردنيش، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الإعلام، 297/1.
- (42) أبو محمد بن عبد الله بن أبي حفص بن علي، أرسله الخليفة عبد المؤمن سنة خمسمائة وخمسون للهجرة والياً على اشبيلية، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ص80.
- (43) ابن الخطيب، الإحاطة، 154/1.
- (44) ابن خلدون، العبر، 281/6.
- (45) السلاوي، الاستقصا، 277/1.
- (46) ابن عذاري، البيان المغرب، ص77.
- (47) مدينة أندلسية، بينها وبين بياضة ستون ميلاً، وهي كثيرة البساتين والمزارع وفيها مساجد وعلماء جلة، ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص70.
- (48) ابن عذاري، البيان المغرب، ص78.
- (49) ابن عذاري، البيان المغرب، ص95.
- (50) مؤلف مجهول، الملل الموشية، ص151.
- (51) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص194.
- (52) مؤلف مجهول، الملل الموشية، ص151.
- (53) ابن عذاري، البيان المغرب، ص124.
- (54) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص170.
- (55) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص171.
- (56) مؤلف مجهول، الملل الموشية، ص119.
- (57) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص84.
- (58) ابن صاحب الصلاة، المصدر نفسه، ص86، بروفنسال، مجموع رسائل موحدية ص61، 620.
- (59) السلاوي، الاستقصا، 128/2.
- (60) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص134.

- (61) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ، ص141.
- (62) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ،
- (63) ابن الرنك، هو الفونسو هيريكيز، وتسميه بعض المصادر صاحب قلمرية، ابن ملك البرتغال، لان قلمرية كانت عاصمة البرتغال آنذاك، ينظر: ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص251.